جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة – الجزائر
ISSN: 1112-4377, EISSN: 2588-2384
المجلد: 29 العدد: 4 السنة: 2025
مجلة المعيار
EL MIEYAR

شاهد الحديث النّبوي في الدّراسات البلاغية
-كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني(471هـ) أنموذجا-

The Prophetic Hadith in Rhetorical Studies
- The Book of the Evidence of Miraculousness by Abdul Qahir al-Jurjani (471 AH) as a Model.

بشار بوقرة[1]
bachar.bouguerra@univ-emir.dz

عبد المطلب بوغرارة[2]
a.bougherara@univ-emir.dz

تاريخ الاستلام: 30/01/ 2025 تاريخ النشر: 15/09/2025
Received: 30/01/2025 published: 15/09/ 2025

ملخص المقال:

هذا المقال مخصّص لدراسة الشاهد من الحديث النّبوي الشّريف الوارد في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني(471هـ) من الجانبين الحقيقي والمجازيّ، وتتبع كيفية توظيفه وآليات اشتغاله، ومنهجيته وطريقته في الاستشهاد بالنّصّ النّبويّ، وقد توصّلنا من خلاله إلى أنّ عبد القاهر الجرجاني كان مقلا في الاستشهاد بالبيان النّبوي في شقّه المجازيّ، وذلك راجع لأسباب رصدناها في مباحث المقال ومن جملتها مقصديّته من تأليف الكتاب، وقلّة بضاعته في الصّنعة الحديثيّة.

كلمات مفتاحية: الشّاهد، الحديث النّبوي، البلاغة النّبويّة، دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني.

Abstract:

This article is dedicated to studying the citation of the noble Prophetic Hadith found in the book "Dalā'il al-I'jāz" (The Proofs of Inimitability) by Abdul-Qahir al-Jurjani (471 AH) from both literal and metaphorical aspects. It traces how he employs these citations, the mechanisms of their functioning, and his methodology and approach in using the Prophetic text as evidence.

Through this study, we have concluded that Abdul-Qahir al-Jurjani was sparing in citing Prophetic eloquence in its metaphorical aspect. This is attributed to several reasons that we have identified throughout the sections of the article, including his intended purpose in writing the book and his limited expertise in the science of Hadith.

Keywords: evidence; prophetic hadith; prophetic rhetoric; Delail al-I'jaz; Abdul Qahir Al-Jurjani.

(1) مخبر الدّراسات اللّغوية والقرآنية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-(الجزائر)
(2) مخبر الدّراسات اللّغوية والقرآنية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-(الجزائر)

مقدمة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلّمه البيان، وأنزل على نبيّه القرآن، بلسان عربيّ مبين، فعجزت الألسن عن محاكاته وتأخر القدر عن الإتيان بمثله وشدهت العقول عن جلال بيانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أمّا بعد:

فإن الحديث النبوي هو المصدر الثاني للتشريع، والمبين للقرآن، والموضّح له، وقد اتفق البلغاء قديماً وحديثاً على أن أحاديث رسول الله إنما هي آية في الفصاحة والبلاغة، وقمة في الجودة والبيان، يؤخذ بروعةِ بيانها، ودقةِ تعبيرها، وسلامة ألفاظها، وجودةِ معانيها ولهذا كانت الأحاديث النبوية بعد كلام الله المصدر الثاني الذي يعتمد عليه البلاغيون في تربية الأذواق على البديع من الكلام، وتكوين الشخصية البلاغية، فلم يخل كتاب بلاغي من الاستشهاد بالحديث النبويّ إلا نادراً، كما أن كثيراً من كتب الأدب والنقد والإعجاز قد استشهدت بالحديث النبويّ في بعض أبوابها وفصولها البلاغية.

شغلت الشواهد الشّرعية والأدبية اهتمام الدّارسين والباحثين في مختلف مستويات علوم اللّغة العربية وخاصة الشّواهد القرآنية منها، أمّا شواهد الحديث النّبويّ الشّريف فلم تلق ذلك الاهتمام من البحث خاصّة فيما يتعلّق بجانب البلاغة، لذلك حاولنا في هذا البحث دراسة بعض النّصوص النّبوية الواردة في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني(471هـ). من خلال الإجابة عن الإشكال الآتي:ما موقف عبد القاهر الجرجاني من الاستشهاد بالحديث النّبوي الشّريف؟

لا يخفى على كثير من الباحثين أنّ شواهد الحديث النّبويّ تعدّ مصدرا ثريا لدراسة اللّغة بكافّة مستوياتها لأجل فهم القرآن الكريم. والملفت للانتباه أثناء تتبع الشواهد في كتاب دلائل الإعجاز قلّة الشواهد الحديثية الموظّفة في هذا الكتاب فأصبح البحث عن إعطاء تفسير مقبول لذلك الإقلال الهدف الأساسي من هذا البحث، ثم يأتي بعده تتبّع تلك النّصوص النّبويّة الواردة في الكتاب قصد وصف طرق توظيفها، والتعرض لما تطرحه من قضايا بلاغية إن وجدت.

أمّا فيما يخصّ المنهج المعتمد في هذه الدّراسة فقد اعتمدنا المنهج الوصفيّ القائم على آلية التّحليل، وذلك بإحصاء ووصف مختلف شواهد الحديث النّبويّ الشّريف وتحليلها من خلال عرض طرق توظيفها والتعرّض لما تطرحها من قضايا أدبية، وبلاغية، وتفسيريّة، وقلة ورودها مقارنة بالشواهد القرآنية، والشّعر العربيّ حسب طبيعة المواضيع المعالجة، ومقصدية المؤلف في انتقائها وتوظيفها.

احتوت هذه الدراسة على الخطة التالية:

مقدّمة

المطلب الأوّل:شاهد الحديث النّبوي الشّريف والبلاغة العربية

تعريف الشاهد لغة واصطلاحا.

تعريف الشواهد البلاغية.

الفرق بين الشّاهد النّحويّ والشّاهد البلاغيّ.

أهمّية دراسة الشّاهد في البلاغة.

المطلب الثاني:شاهد الحديث النّبويّ الشّريف في كتاب دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني.

شاهد الحديث النّبوي الشريف بالمعنى الحقيقيّ.

شاهد الحديث النّبويّ الشّريف بالمعنى المجازيّ.

منهجية عبد القاهر الجرجاني في التعامل مع الحديث النّبوي الشريف.

أسباب الإقلال من شواهد الحديث النبوي الشّريف في الكتاب.

المطلب الأوّل: شاهد الحديث النّبويّ الشّريف والبلاغة العربيّة

1.2 تعريف الشّاهد:

أ–لغة:

جاء في "لسان العرب" لابن منظور في باب (ش.ه.د) الأنساق الدالة التالية للفظة "شاهد" الشّاهد: العالم الذي يبين ما علمه. شهد الشّاهد عند الحاكم :أي بيّن ما يعلمه وأظهره. وشهد فلان على فلان فهو شاهد وشهيد... والمشاهدة المعاينة. وشهده شهودا أي حضره فهو شاهد قوم شهود أي حضور. الشّاهد والشّهيد: الحاضر. الشاهد: النبيّ عليه الصّلاة والسّلام في قوله تعالى: "إنا أرسلناك شاهدا..." أي على أمتك بالإبلاغ والرّسالة... (ابن منظور، 1414هـ، الصفحات 238-243)

ومن خلال هذا الجرد لمختلف معاني لفظة "شاهد" يمكن أن نحصر الأنساق الدلالية التي تدور فيها تلك المعاني في ما يلي:

أ– نسق الدين: الشاهد، الله، النبي، الجمعة، صلاة المغرب أو الفجر، يوم القيامة.

ب–نسق القضاء: الشاهد من الشهادة عند السلطان، الشهادة أمام الحاكم.

ج–نسق الحضور والمعاينة: الشاهد الحاضر، وقوم شهود أي حضور وشهد الشيء حضره وعاينه.

د–نسق الدليل: الشاهد الفرس له من جريه دليل على جودته... والشاهد المخاط الذي يخرج مع الولد دليل على يسر ولادته . والشاهد اللسان: دليل على حسن العبارة (السعداني، 2021م، صفحة 16،17).

وإذا أمعنّا النظر في هذه الأنساق المختلفة والدلالات المتنوعة فإنها في جملتها لا تخرج عن نسق عام يربط بينها جميعا، وهو نسق الحجة والدليل والبرهان، وهي أنساق دالة متقاربة تصب في نسق دلالي واحد. ومن هذا النسق الدلالي العام تولد المعنى الاصطلاحي الذي لا يكاد يخرج عن هذا المعنى اللغوي الذي اشتق منه، وعليه اعتمد العلماء في بلورته.

ب–اصطلاحا:

لاحتواء الشّاهد على تلك المعاني اللّغوية التي ذكرناها مجتمعة – وهو من دلالات عظمة هذه اللغة –كان له معنيان اصطلاحيين: أوّلهما الشاهد بالمعنى الحقيقي، ويجمع على شهود، وأشهاد، وشهداء. وثانيهما: الشاهد بالمعنى المجازي، ويجمع على شواهد (الظهار، 1996م، صفحة 34).

عرّف التهانوي الشاهد بقوله (التهانوي، 1996م، صفحة 2000): "الشاهد عند أهل العربية الجزئي الذي يستشهد به في إثبات القاعدة لكون ذلك الجزئي من التنزيل أو من كلام العرب الموثوق بعربيتهم، وهو أخص من المثال".

نستنتج من هذا التعريف أن الشاهد جزئي، أي أنه جزء مقتطع من كل أكبر منه، فإما أن يكون جزءا من آية أو جزءا من سورة، وإما أن يكون جزءا من حديث نبوي أو جزءا من بيت شعري، أومن قصيدة، وإما أن يكون جزءا من كلام نثري (قول أو مثل سائر). كما أن هذا التعريف يحدّد شرطا أساسيا لابد منه لكي يكتسب الشاهد مشروعيته، وهو أن يكون من كلام العرب الموثوق بعربيتهم.

2.2 تعريف الشّواهد البلاغيّة:

الشواهد البلاغية: هي كل ما استشهد به البلاغيّون من النصوص التي حازت المزية والفضل، إما في لفظها (بسبب الكناية والمجاز)، وإما في نظمها (بسبب التصرف في معاني النحو)، وإما في لفظها ونظمها معا بسبب حيازتها للمزيتين. وهذه النصوص قد تكون: آيات قرآنية، أحاديث نبوية، أبياتاً شعرية، أقوالا نثرية. (الشين، 2010م، صفحة 35). وعرفتها نجاح الظهار بأنها (الظهار، 1996م، صفحة 51) "كل ما يستشهد به البلاغيون من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية وأقوال نثرية، أو شعرية لتوضيح وبيان قاعدة بلاغية". أما عن العلاقة بين الشاهد والبلاغة فقد بينها مراد بن عياد بقوله (عياد، 2001م، صفحة 349): "وعلاقة الشاهد بالبلاغة علاقة تناص من نوع واحد خاص، تخضع فيه الأقوال المستحضرة لوظائف محددة، تمليها أهداف الدرس البلاغي عند العرب، فإذا أُخِذ من أثر ما جزء من نصه وزرع في سياق مغاير من سياقات الدّراسة البلاغية، فإنه يتحول من مقام إنشادي في الشعر...إلى مقام تمثلي عند البلاغيين، وعندئذ توضع الظاهرة الأدبية في النص المستحضر في مواجهة الظاهرة البلاغية فيه ".

2.3 أهمّ الفروق بين الشّواهد النّحويّة والشّواهد البلاغية:

لا يكاد البلاغيون يختلفون عن النّحاة في مصادر الشّواهد التي وظفوها في كتبهم، لقد استقوا شواهدهم من القرآن الكريم والحديث النّبوي(على قلّة)، والشّعر العربيّ وأقوال العرب وأمثالهم، ولعل الفرق بين النّحو وعلوم البلاغة هو الدافع إلى عدم تقيّد البلاغيين في أخذهم للشّاهد بعصر أو مكان معيّنين، يقول عبد القادر البغدادي في "خزانة الأدب" نقلا عن أبي جعفر الرّعيني الأندلسيّ (779هـ): (البغدادي، 1418هـ، صفحة 5):" علوم الأدب ستة اللغة والصرف والنحو والمعاني والبيان والبديع والثلاثة الأول لا يستشهد عليها إلا بكلام العرب دون الثلاثة الأخيرة فإنه يستشهد فيها بكلام غيرهم من المولدين لأنها راجعة إلى المعاني ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم إذ هو أمر راجع إلى العقل". ونستنبط من هذا النصّ أنّ الاستشهاد عند علماء المعاني والبيان والبديع مختلف عن الاستشهاد عند النّحاة وأهل اللّغة وهذا راجع بالأساس إلى طبيعة الاستشهاد عند الفريقين فإذا كان النّحاة ينشدون وضع قواعد اللّغة في حدّ ذاتها لذلك ألزموا أنفسهم بتحديد عصور الاحتجاج والأخذ من أهل البادية، فإنّ البلاغيّين كانوا يهتمّون بأمر المعاني وهي قاسم مشترك بين كل الأقوام والأمم، وهذه الدراسة تقتضي تمييز الشواهد البلاغية عن غيرها من أنواع الشواهد الأخرى بتحديد الفروق التي تفصل بين أنواعها، وقد أجملتها الباحثة فوزية نقلا عن ظافر العمري في النّقاط التّالية:

أ- شواهد النحو مقيدة ومرتبطة بزمن الاستشهاد النحوي، أما شواهد البلاغيين فلا حدود لزمنها.

ب- الشواهد النحوية مناطها قياس كلام العرب، والشواهد البلاغية مناطها الجمال أيا كان مصدره.

ج- الشواهد النحوية تعنى بالنادر أكثر من الشائع، والشواهد البلاغية تعنى بالنادر والشائع.

د- الشواهد النحوية يقع فيها الخلاف والتخريج لمناسبة الضابط النحوي عند الخلاف، والشواهد البلاغية قلّ أن تجد فيها خلافا أو تخريجا.

هـ- الشواهد النحوية لصحّة القاعدة ولا تستلزم الجمالية، والشواهد البلاغية جمالية تستلزم صحّة القاعدة. (الشين، 2010م، صفحة 36،35).

2.4 أهمية دراسة الشاهد البلاغي:

إذا كان محمّد الطنطاوي في كتابه "نشأة النحو" يقول (الطنطاوي، 2005م، صفحة 197): "إن الشاهد في علم النحو هو النحو". فإنه يحق لدارس البلاغة أن يقول: إن البلاغة في علم البلاغة هي الشواهد لأنّه كما يقال بأن تعلم الفلسفة يكون بالتفلسف فتعلّم البلاغة يكون بتذوّق النّصوص وهي تلك الشّواهد، وذلك بسبب أن علم البلاغة إنما تمّ استنباطه من الشواهد أولا، ثم بعد ذلك نشأ وتطور. والبلاغة حقيقة هي الشواهد، وكل ما يكتب في كتب البلاغة إنما هو دندنة حول الشاهد، واحتفاء به وتقرب إليه أو تقريب إياه. وكما كانت بركة الكتاب العزيز كبيرة على لغة العرب في نحوها وصرفها وشعرها ونثرها، كانت هذه البركة كبيرة على بلاغتها. ويمكن أن تجمل أهمية دراسة الشواهد البلاغية حسب فوزية الطاهر في الأمور التالية:

أ- دراسة الشواهد البلاغية تدخلنا إلى عالم من الإبداع ما زال مجهولا في تراثنا العريق، فإن معظم إبداعاتنا ما زالت كالكنوز المغلقة التي تنتظر من يكتشفها ويميط اللّثام عنها.

ب- دراسة الشواهد ستنقل الدرس البلاغي من إضاعة الوقت في دراسة التعريفات والحدود والتقسيمات، إلى مرحلة التعامل مع الإبداع، وفهم معناه وتحليله.

ج- التمرّس بالشّاهد البلاغي، والشعور بالجمال في معناه، هو اللبنة الأولى في تربية وتنمية حسّ الذوق الأدبي.

د- دراسة الشواهد تتيح إقامة العديد من الموازنات والمقارنات التي تكشف بجلاء مراتب من الإبداع، يصعب إدراكها دون إقامة مثل تلك المقارنات.

هـ- عدم الاهتمام بالشواهد البلاغية، ودراستها أسوة بشواهد النحو، يكاد يكون أحد العوامل المهمة في تأخر البلاغة.

و- ولعل من أهم الأمور التي تؤكد أهمية دراسة الشواهد البلاغية، محاولة السعي إلى تغيير تلك الشواهد الموجودة في الكتب المدرسية، التي تتحدث عن المعاضلة والتعقيد باستفاضة، حتى إذا وصلت إلى جمال النظم ورقة الأسلوب اختفت الشواهد. (الشين، 2010م، صفحة 38،37).

المطلب الثاني: شاهد الحديث النّبوي في كتاب دلائل الإعجاز.

1.3 أنواع شاهد الحديث النّبوي في كتاب دلائل الإعجاز:

إذا كان معنى الشاهد في لغتنا العربية المعاصرة قد استقر على معنيين، كما ورد في بداية البحث وهما: المعنى الحقيقي للشاهد الذي يجمع على شهود، وأشهاد. والمعنى المجازي للشاهد: وهو الذي يجمع على شواهد، وهما المقصودان بالدراسة في هذا البحث فإنّ عبد القاهر الجرجاني – صاحب نظرية في النحو وهي معاني النّحو، وصاحب كشف جديد لم يسبق إليه وهي نظرية النّظم – كان بحاجة إلى كلا النوعين من الشهادة، الشهادة بمعناها الحقيقي، والشهادة بمعناها المجازي. وقد وظّف في كتابه دلائل الإعجاز ثلاثة عشر (13) حديثا نبويّا شريفا.

1.1.3 شاهد الحديث النّبوي بالمعنى الحقيقي:

لما كان الشعر هو أحد العمد والأصول التي بني عليها كتاب "دلائل الإعجاز " فلم يكن أمام صاحب الدّلائل من بد إلا أن يصدر به كتابه، مبتدئا بالتأصيل الشّرعيّ للشعر.

نماذج من شاهد الحديث النّبويّ الشّريف بالمعنى الحقيقيّ:

كان لابدّ من التأصيل الشّرعيّ لتبرئة ساحة الشّاهد الشّعريّ من الوصف بالاسترذال والذّم، وكان لابدّ لعبد القاهر من الاستناد إلى النّصوص الشّرعية ومنها الحديث النّبويّ الشّريف في تحقيق هذا الهدف، لأنّ الذين ذمّوا الشّعر واسترذلوه استندوا في رأيهم هذا على النّصوص النّبوية؛ إذ كان لأقوال الرّسول صلى الله عليه وسلّم دور في التأصيل الشّرعيّ لأهمّية الشّعر في كتاب دلائل الإعجاز فقد وظّف الجرجاني(471هـ) أحد عشرة(11) نصّا نبويّا تتعلّق بأخباره مع الشّعر والشّعراء وذلك في فصل في الكلام على من زهد في رواية الشّعر وحفظه، وذمّ الاشتغال بعلمه وتتبّعه وأوّل حديث صحيح استهلّ به كتابه هو قوله عليه الصّلاة والسّلام: «لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحا، فيريه، خير له من أن يمتلئ شعرا» (البخاري، 1419هـ، صفحة 463)، ولم يوجّه وجه الاستشكال والتعارض فيه بل جعله كحجّة خامسة على بطلان رأي من ذمّ الشّعر، وأردفه بحديث صحيح مخالف لذلك وعاتب فيه من أخذ بالحديث الأول وترك حديث «إنّ من الشّعر لحكمة وإنّ من البيان لسحرا» (البخاري، 1419هـ، صفحة 469)، وكما هو معلوم أنّ سياق ذم قول الشّعر إنما نبّه إليه الرسّول صلّى الله عليه وسلّم فيمن غلبه الشّعر وكثر منه حتى شغله عن القرآن وعن ذكر الله، أو يكون المراد بالشّعر ما تضمّن سبّا أو هجاء أو مفاخرة كما هو غالب شعر الجاهليين (الرضيّ، 2007م، صفحة 65)، ولا يدخل في هذا الشّعر الذي فيه حكمة ودفاع عن الإسلام، ونحو ذلك من الأمور الحسنة نحو قوله صلّى الله عليه وسلّم لحسان بن ثابت «قل وروح القدس معك». ولم يرد هذا الحديث بلفظه هكذا في كتب السّنة بل ورد قريبا منه في "صحيح البخاري" «اللهم أيده بروح القدس» (البخاري، صحيح البخاري، 1433هـ، صفحة 494)، ثمّ أضاف الجرجانيّ(471هـ) أخبارا أخرى تبيّن ارتياح واستحسان خاتم الأنبياء لقول الشّعر خاصّة ما تعلّق منه بالردّ على المشركين وذلك كالذي روي من أنه عليه الصّلاة والسّلام قال لكعب – والخبر خرّجه محمود شاكر محقّق "دلائل الإعجاز" في "تهذيب الآثار مسند عمر"–: «ما نسي ربّك، وما كان ربّك نسيّا، شعرا قلته»، قال: وما هو يا رسول الله؟ قال: أنشده يا أبا بكر. فأنشده أبو بكر رضوان الله عليه شعرا عيّر فيه قريشا وانتصر فيها للإسلام وفي هذا جهاد باللّسان (الطبري، دس، صفحة 632)، وأيضا

(الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 18) خبر نظر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى القتلى يوم بدر مصرّعين – والخبر موجود في "المعجم الكبير"– فقال صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضيَ الله عنه: لو أنّ أبا طالب حيّ لعلم أن أسيافنا قد أخذت بالأنامل» (الطبراني، المعجم الكبير، دس، صفحة 158)". ثم ذكر شعرا لأبي طالب وتنبؤه بمصرع صناديد قريش، وأورد عبد القاهر الجرجاني حديث زجر رسول الله لحسان بن ثابت والخبر رواه ابن أبي الدّنيا في كتابه "قضاء الحوائج" لما قال له: "«يا حسّان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجلسك هذا»" (الدنيا، دس، صفحة 69). لما أنشد أبياتا فيها هجاء لعلقمة بن علاثة الذي أنصف وأحسن القول في نبيّنا محمد صلى الله عليه وسلّم فردّ له جميل معروفه ووجه الشاهد هو إنشاد حسان بن ثابت للشّعر في حضرة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وعدم إنكاره عليه إلا في مواطن نادرة كهذه، وأيّد صاحب الدلائل موقف محمد صلى الله عليه وسلّم بحديث قدسي يقول:" « يقول الله تبارك وتعالى لعبد من عبيده: صنع إليك عبدي معروفا فهل شكرته عليه؟ فيقول: ياربّ، علمت أنه منك فشكرتك عليه. قال: فيقول الله عز وجل: «لم تشكرني، إذ لم تشكر من أجريته على يده»" (الطبراني، المعجم الصّغير، 1405هـ، صفحة 276).

نصوص نبويّة تبيّن علمه بالشّعر: فقد أورد صاحب الدلائل شاهدين ضعيفين لم يردا في كتب السّنة وإنما ورد أحدهما في كتب الأدب والنّقد: **أوّلهما** بيانه صلّى الله عليه وسلّم مقصود ومراد عديّ وتيم لما أنشدت أمّ المؤمنين سودة بنت زمعة رضي الله عنْها شعرا، ظنّت عائشة وحفصة رضي الله عنهما أنّ فيه تعريضا لهما مما أغضبهما، فبيّن لهم رسول الله قائلا: "«يا ويلكنّ، ليس في عديّكنّ ولا تيمكنّ قيل هذا، وإنّما قيل هذا في عديّ تميم وتيم تميم»" (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 20). ومقصوده عليه الصّلاة والسّلام (عديّكن) أي عديّ قريش ومنه عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ وابنته حفصة رضي الله عنهما، و(تيمكنّ) أي تيم قريش ومنهم أبو بكر الصّديق وابنته عائشة رضي الله عنهما. **وثاني الشواهد** ما روى الزّبير بن بكّار قال: مرّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم ومعه أبو بكر رضي الله عنهُ رجل يقول في بعض أزقّة مكة شعرا لمطرود بن كعب الخزاعي يبكي عبد المطلب وبني عبد مناف: [من الكامل]

يا أيّها الرجل المحوّل رحله ... هلّا نزلت بآل عبد الدّار (هشام، 1375هـ، صفحة 178)

فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: يا أبا بكر، أهكذا قال الشاعر؟ قال: لا، يا رسول الله، ولكنه قال:

يا أيّها الرّجل المحوّل رحله ... هلّا سألت عن آل عبد مناف

فقال رسول الله: هكذا كنّا نسمعها (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 21)، وهذا الأثرُ النّبويّ ذكره القالي في "أماليه" (القالي، 1344هـ، صفحة 242) بزيادة لفظ "هكذا سمعت الرّواة ينشدونه" يبيّن معرفة النّبيّ محمّد صلى الله عليه وسلّم للشّعر فقد غيّر معنى عجز البيت بتغيير ألفاظه مما جعله يستنكر ويسأل أبا بكر ليصحّح له البيت ويقرّ له بألفاظه الصحيحة.

نصوص نبويّة تبيّن ارتياح واستحسان الشّعر: ذكر الجرجاني خبرين نبويّين أوّلهما ما جاء في حديث النّابغة الجعدي وهو خبر نبويّ ضعيف:" أنشدت رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قولي: [من الطويل]

بلغنا السّماء، مجدنا وجدودنا ... وإنّا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي صلّى الله عليه وسلّم: أين المظهر يا أبا ليلى؟ فقلت: الجنّة، يا رسول الله. قال:

أجل إن شاء الله. ثم قال: أنشدني، فأنشدته من قولي:

ولا خير في حلم، إذا لم تكن له ... بوادر تحمي صفوه أن يكدّرا

ولا خير في جهل، إذا لم يكن له ... حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال عليه الصّلاة والسّلام:" أجدت، لا يفضض الله فاك" (الهيثمي، 1414هـ، صفحة 126).وذكر الراوي سعادة الرّسول صلى الله عليه وسلم وابتهاجه بما قاله النّابغة. ثمّ أورد عبد القاهر الجرجاني خبر قصيدة كعب بن زهير (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 23،22) المعروفة المشهورة التي أنشدها للنّبي صلى الله عليه وسلّم حتى إذا أتى في آخرها على مديحه أشار رسول الله إلى الحلق أن اسمعوا دلالة على استحسان ما ذكره كعب. وختم صاحب الدلائل شاهد الحديث النّبوي الشّريف بحديث صرّح أنّه مرفوع عنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم وعند تتبعه نجده أيضا موصولا في "السّنن الكبرى للبيهقي": "عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة –رضى الله عنها– قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلّم عن الشعر فقال: "هو كلام؛ فحسنه حسن وقبيحه قبيح" (البيهقي، 1432هـ، صفحة 198)،وما ورد في دلائل الإعجاز: (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 24)" «إنّما الشّعر كلام فحسنه حسن، وقبيحه قبيح»" وهو حديث صحيح لغيره ولم يرد بهذا اللّفظ في كتب السّنة والتخريج وإنّما ورد بهذه الصّيغة: (البخاري، الأدب المفرد، 1419هـ، صفحة 466،465) «"الشعر بمنزلة الكلام حَسَنُه كَحَسَن الكلام وقبيحُه كقبيح الكلام"» ونسبه للعلماء أيضا ومنهم عائشة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 24)، ليردّ على من ذمّ الشّعر كونه موزونا ومقفّى والأمر بخلاف ذلك كما بيّنا من قبل. والسّبب في حرص مؤلّف الدلائل على الدّفاع عن الشّعر بالحديث النّبويّ الشريف إنّما هو من أجل الإعجاز لأنّ القرآن الكريم نزل بلغة العرب وتحدّى العرب بما برعوا فيه، وكان الشّعر هو أرقى إبداع العرب، وفي استرذال الشّعر ما يؤدّي إلى أمر في غاية الخطورة، وهو أنّ القرآن الكريم قد تحدّى أمرا مذموما مسترذلا، وفي هذا ما فيه من الشّناعة ولأن القرآن أنزل عربيا، فإنّ الباحث في الإعجاز لا مفرّ له –إذا أراد الوصول إلى مبتغاه– من المرور عبر بوابة البيان العربيّ ولا أحد يشكّ في أنّ بيان العرب يكمن في الشّعر ولذلك قال الجرجاني(471هـ) (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 9،8):" وذاك أنّا إذا كنّا نعلم أن الجهة التي منها قامت الحجة بالقرآن وظهرت، وبانت وبهرت، هي أن كان على حدّ من الفصاحة تقصر عنه قوى البشر ومنتهيا إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر، وكان محالا أن يعرف كونه كذلك، إلا من عرف الشّعر الذي هو ديوان العرب، وعنوان الأدب والذي لا يشك أنه كان ميدان القوم إذا تجاروا في الفصاحة والبيان، وتنازعوا فيهما قصب الرّهان".

2.1.3 شاهد الحديث النّبوي بالمعنى المجازي:

نماذج من شواهد الحديث النّبويّ الشّريف بالمعنى المجازي:

أورد عبد القاهر الجرجانيّ في كتابه دلائل الإعجاز نصّين نبويّين:

الحديث الأوّل: قول النبي صلّى الله عليه وسلّم: «إيّاكم وخضراء الدّمن» (العجلوني، 1420هـ، صفحة 310)وهذا الحديث من الأحاديث الضعيفة المشهورة في الدراسات البلاغية، وتتمته قيل: يا رسول الله وما خضراء الدّمن ؟ قال: «المرأة الحسناء في منبت السّوء »واستشهد به في معرض حديثه عن التمثيل (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 441) و أنّ الأغراض التي تكون للناس في ذلك لا تعرف من الألفاظ، ولكن تكون المعاني الحاصلة من مجموع الكلام أدلّة على الأغراض والمقاصد (الجرجاني، أسرار البلاغة، 1991م، صفحة 274) فقد جاء الحديث الشّريف بأوجز لفظ وأوضح عبارة، أعطانا النّصيحة السّديدة في عدم الاغترار بالمظهر الجميل الذي ينطوي على الباطن الذميم وكان ذلك بمشهد من الواقع، وهو صورة الرّوضة الخضرة في الدّمن وهي الأبعار المجتمعة تركبها السوافي التي هي الرّيح التي تثير التّراب، ويعلوها الهابي وهو التراب الذي يهب مع الرّيح، فإذا أصابها المطر أنبتت نباتا خضرا يروق منظره ويسوء مخبره، فهي صورة قد ينخدع بها من يشاهدها مع قبح منبتها (الرضيّ، 2007م، صفحة 40)ولذلك صدّر الحديث بما يدلّ على التحذير والترهيب وهو قوله :«إيّاكم».

وفي قوله عليه السّلام «خضراء الدّمن » توجيهان أحدهما أنّه صلّى الله عليه وسلّم نهى عن نكاح المرأة على ظاهر الحسن وهي في منبت السوء أو بيت السوء، فنهى عن نكاحها إذا كانت مغموضة في نفسها والمراد بالمرأة المغموضة الخاملة الذليلة التي لا يعرف حسبها، أو كانت مطعونا عليها في نسبها لأنّ أعراق السوء تنزع إلى ولدها وتضرب في نسلها (الرضيّ، 2007م، صفحة 41)، فوجه الشّاهد هو أنّه عليه الصّلاة والسّلام شبّه المرأة الحسناء بالرّوضة الخضراء لجمال ظاهرها، وشبّه منبتها السيء بالدّمنة لقباحته ففيها استعارة كما صرّح بها عبد القاهر الجرجاني لما تحدّث عن الشّاهد نفسه في كتابه أسرار البلاغة بقوله (الجرجاني، أسرار البلاغة، 1991م، صفحة 67،68):"ومثال الأصل الثاني، وهو أخذ الشّبه من المحسوس للمحسوس، ثم الشبه عقليّ، قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «إياكم وخضراء الدّمن»، الشبه مأخوذ للمرأة من النبات كما لا يخفى وكلاهما جسم، إلا أنه لم يقصد بالتشبيه لون النبات وخضرته، ولا طعمه ولا رائحته، ولا شكله وصورته ولا ما شاكل ذلك.

ولا ما يسمّى طبعا كالحرارة والبرودة المنسوبتين في العادة إلى العقاقير وغيرها مما يسخّن بدن الحيوان ويبرد بحصوله فيها ولا شيء من هذا الباب بل القصد شبه عقليّ بين المرأة الحسناء في المنبت السوء، وبين تلك النابتة على الدّمنة، وهو حسن الظاهر في رأى العين مع فساد الباطن، وطيب الفرع مع خبث الأصل (الجرجاني، أسرار البلاغة، 1991م، صفحة 68).

والتّوجيه الثاني أن يكون النبيّ عليه الصّلاة والسّلام، إنما نهى في الحقيقة عن تعارض النفاق وتغاير الأخلاق، وأن يتلقى الرّجل أخاه بالظّاهر الجميل، وينطوي على الباطن الذميم وأن يخدعه بحلاوة اللّسان، ومن خلفها مرارة الجنان، وقد قال أهل العربية قديما: النّشر أن ينبت وبر البعير وتحته داء العرّ وهو الجرب، فيرى كأنّ ظاهره سليم وباطنه سقيم (الرضيّ، 2007م، صفحة 42).

واشتمل الحديث أيضا على أسلوب –لم يذكره الجرجانيّ– هو من أدقّ الأساليب البلاغية. وهو أسلوب الفصل، فقد فصل بين قوله :"قال المرأة الحسناء"، عن قوله:" وما خضراء الدّمن؟" لأنّها جواب عن سؤال، وفيه إيضاح بعد إبهام، وهو من أنواع الإطناب. وهذا الأخير من الألوان البلاغية الجميلة التي تأتي في موقعها وذلك إذا طلبه المعنى واستدعاه (المجيد، 2001م، صفحة 747).

الحديث الثّاني: ما جاء في حديث ذي اليدين حين قال للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "«أقصرت الصّلاة أم نسيت يا رسول الله؟ فقال عليه الصّلاة والسّلام: كلّ ذلك لم يكن. فقال ذو اليدين: بعض ذلك قد كان»". وتتمّة الحديث كما ورد في "صحيح مسلم":" فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الناس فقال: أصدق ذو اليدين؟ فقالوا: نعم يا رسول الله فأتمّ رسول الله صلى

الله عليه وسلم ما بقي من الصلاة، ثم سجد سجدتين وهو جالس بعد التسليم » (مسلم، 1433هـ، صفحة 87). وقد استشهد صاحب الدلائل بهذا النّص النّبويّ في سياق الحديث على أنّ النّفي يتوجّه إلى القيد عند وجود القيد (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 282) ومعنى الحديث لا محالة على نفي الأمرين جميعا، وعلى أنه عليه السلام أراد أنه لم يكن واحدا منهما، لا القصر ولا النّسيان. ولو قيل: «لم يكن كلّ ذلك»، لكان المعنى أنه قد كان بعضه. ومن أجل ذلك امتنع أن يقول: كلهم لم يأتني ولكن أتاني بعضهم وكل ذلك لم يكن ولكن كان بعض ذلك، لإفضائه إلى التناقض لأن تقديم لفظ كل على النّفي يشمل نفي العموم قال الجرجاني (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 283):" واعلم أنه لما كان المعنى مع إعمال الفعل المنفي في «كلّ» نحو: «لم يأتني القوم كلّهم» و «لم أر القوم كلّهم»، على أن الفعل قد كان من البعض، ووقع على البعض، قلت: «لم يأتني القوم كلّهم، ولكن أتاني بعضهم» و «لم أر القوم كلّهم، ولكن رأيت بعضهم» فأثبتّ بعد ما نفيت، ولا يكون ذلك مع رفع «كلّ» بالابتداء". ثم ذكر بعدها الجرجاني التراكيب التي تناقض ذلك بقوله (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 283):"فلو قلت: «كلهم لم يأتني، ولكن أتاني بعضهم» و «كلّ ذلك لم يكن، ولكن كان بعض ذلك»، لم يجز، لأنّه يؤدّي إلى التناقض، وهو أن تقول: «لم يأتني واحد منهم، ولكن أتاني بعضهم»".

2.3 منهجية عبد القاهر الجرجانيّ في التعامل مع شاهد الحديث النبويّ الشّريف:

اختلفت طريقة تعامل الجرجاني مع شاهد الحديث النّبويّ الشّريف حسب طبيعة الموضوع الذي يعالجه ومقصديّته من ورائها وهكذا نجده يكتفي في إيراده لبعض الشّواهد الحديثية بذكر موطن الشّاهد، كما مرّ معنا في النّصوص النّبوية التي تبيّن دفاعه عن الشّعر، وربّما ذكر بعضها بمعناه لا بلفظه، وفي بعض المواضع يقف عند بعض الأحاديث النّبويّة وقفات تحليل دقيقة خدمة للغرض المقصود كما ورد في حديث ذي اليدين، كما أنّه أحيانا يكتفي بذكرها دون تحليل ولا بيان لوجه الاستدلال كما في الأحاديث التي تذمّ الشّعر، وأحيانا يورد تحليل الحديث بلاغيا بشكل مقتضب بسبب وروده في كتابه أسرار البلاغة بشكل مفصّل كما في حديث خضراء الدّمن. وبعد هذا العرض الوجيز لطريقة الجرجانيّ في التعامل مع شاهد الحديث النّبويّ، يمكن أن نستخلص ما يلي:

أ-أنّ الجرجانيّ لم يستبعد الشّاهد الحديثيّ وإن كانت نسبة حضوره ضئيلة جدّا مقارنة مع غيره من الشّواهد الأخرى خاصّة الشّاهد الشّعريّ.

ب-يقف صاحب الدلائل أحيانا منها على موطن الشّاهد فقط في النّصّ النّبويّ.

ج-أنّه يهتم أحيانا بمعنى الحديث ولا يولي صحّته أو عدمها.

د-معرفته أحيانا بالصّنعة الحديثية كذكره حديثا مرفوعا عن النبي عليه الصّلاة والسّلام.

3.3 أسباب قلّة الاستشهاد بالحديث النّبويّ الشّريف في كتاب دلائل الإعجاز

لا نكاد نعثر في دلائل الإعجاز على موقف ورأي صريح للجرجاني من الاستشهاد بالحديث النّبويّ الشّريف، إلّا أنّنا نجد عددا قليلا جدّا من الشّواهد الحديثية في هذا الكتاب وهما حديثان فقط باستثناء الأحاديث التي لم توظّف لأغراض بلاغيّة وهو ما يعني أنّ البلاغة النّبويّة أهملها إهمالا يكاد يكون تامّا (الظهار، 1996م، صفحة 1277) وما يلفت النّظر هو الاختلاف البيّن بين كتابي الجرجاني "الأسرار" "والدلائل" من حيث توظيف الشّواهد الحديثية إذ نجد في الكتاب الأوّل(32) نصّا نبويّا، وأمّا في الكتاب الثّاني وردت أحاديث قليلة جدّا(13)، وأغلبها كان في معرض حديثه عن موقف الإسلام من الشّعر والشّعراء، وخاصّة موقف خاتم الأنبياء، لكنّ الشّاهد الحديثيّ يغيب أو يكاد فيما سيأتي بعد ذلك من فصول وأبواب وهي لا تتعدّى حديثين نبويين

شريفين، ويعدّ عبد القاهر الجرجانيّ على رأس علماء البلاغة الذين كانوا يدمجون الشّواهد ويستشهدون بجميع الأنواع في المسألة الواحدة وإن كانوا يلتزمون بحكم الشّعور الدّيني بمسألة التّرتيب بين هذه الأنواع فيبدؤون بالقرآن أوّلا ثمّ بالحديث ثمّ بالشّعر ثمّ بالنثر، ولكن عبد القاهر خالف هذه القاعدة وكان يغرس الشّاهد المناسب في الموضع المناسب بغضّ النّظر عن النّوع ولعلّ الملفت للنّظر في كتاب "دلائل الإعجاز" هو قلّة الشّواهد الحديثية مقارنة بغيرها من الشّواهد فقد ذكر الجرجانيّ ما يقرب من مائة وواحد وخمسين(151) شاهدا قرآنيا إلى جانب أربعمائة وواحد وتسعين(491) شاهدا شعريا ما جعل أحد الدّارسين يصفه بالتّقصير في الكشف عن البيان النّبويّ (الظهار، 1996م، صفحة 1277). ويبدو أنّه من الصّعب إيجاد تبرير مقبول لهذا الاختيار لأنّه يدخل في تحديد النّوايا المضمرة للمؤلّف، ومهما حاولنا الإجابة فإنّ ما سنقدّمه لا يعدو أن يكون مجرّد افتراضات من العسير التأكّد من صحّتها.

-إنّ الجرجانيّ في دلائل الإعجاز لم يخرج عن القاعدة المألوفة عند قدماء النّحاة في إقلالهم من شاهد الحديث النّبوي الشّريف ولعلّ شهرته وصنعته في النّحو قد ألقت بظلالها على ذلك، فتحرّج النّحاة من سوق الحديث النّبوي بسبب الوضع وتغيير متن النّص النّبويّ وذلك لسببين أحدهما رواية الحديث بالمعنى وقد ردّ على هذا القول بأنّ الأصل الرّواية باللّفظ وتجويز الرّواية بالمعنى احتمال عقليّ فقط لايقين بالوقوع وعلى احتمالية فرض وقوعه، فالمغيّر لفظا بلفظ في معناه عربيّ يحتجّ بكلامه في اللّغة وإن وقع بعد ذلك شكّ في بعض الرّوايات من غلط أو تصحيف فنزر يسير وشيء قليل لا يقاس أبدا إلى أمثاله في الشّعر وكلام العرب، فكثير من الأشعار نفسها رويت بروايات مختلفة وبعضها موضوع وربما كان ما تنبهوا إلى وضعه منه أقلّ من القليل، وجاز عليهم أكثر الموضوع إذا كان واضعه قد أحسن الوضع ومحاكاة الكلام (الأفغاني، 1987م، صفحة 50،51)، قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (فارس، 1997م، صفحة 34):"أنّ النّحارير ربّما أدخلوا على النّاس ما ليس من كلام العرب إرادة اللّبس والتّعنيت"، ومع ذلك فقد احتجوا بهذا الشّعر على عجره وبجره هذا من جهة المتن، أمّا السّند فقد عرف المجيزون والمانعون أنّ ما في روايات الحديث من ضبط ودقّة وتحرّ لا يتحلّى ببعضه كلّ ما يحتجّ به النّحاة واللّغويّون من كلام العرب وهناك مانع آخر متعلّق بالنّحو وهو وقوع بعض اللّحن في الأحاديث المرويّة، فالبلاغة مبنية على معاني النحو وهذا الشيء -إن حصل- لا يبنى عليه حكم لأنّ إعجاز القرآن مبنيّ على دائرة الصّحة النّحوية التي تبنى عليها البلاغة وقد تنبّه إليه النّاس وتحاموه ولم يحتجّ به أحد، ولا يصحّ أن يمنع من أجله الاحتجاج والاستشهاد بهذا الفيض الزاخر من الحديث الصّحيح إلّا إن جاز إسقاط الاحتجاج بالقرآن الكريم لأنّ بعض النّاس يلحن فيه. ومعروف إلى هذا أنّهم كانوا يتشدّدون في أخذ النّاس بضبط ألفاظ الحديث حتى إذا لحن فيه أحد أقاموا عليه النّكير وأقاموا الدّنيا ولم يقعدوها بل إنّ بعضهم ليدخله النّار بسببه، وكان هذا التّشديد متوارثا في حملة الحديث إلى يومنا هذا (الأفغاني، 1987م، صفحة 52) وقد أرجع بعضهم اللّحن في الحديث بسبب أنّ رواته من الأعاجم ولكن هذا ليس سببا حقيقيا فمثل هذا أيضا يقال في رواة الشّعر والنّثر اللذين يحتجّ بهما فإنّ فيهما الكثير من الأعاجم حتّى إنّه لا تجوز المقارنة بين محدّث معتدّ به يمكن أن يوضع في صفّ حمّاد الرّاوية الذي كان يكذب ويلحن ومع ذلك لم يتورّع الكوفيّون ومن نهج منهجهم عن الاحتجاج بمرويّاته ومع ذلك فقد تحرّجوا من الاحتجاج بالحديث النّبويّ الشّريف الذي ارتضاه اللّغويّون وانتفعوا به في هذا الشّأن واستقوا من الينبوع النّبويّ الفيّاض العذب الزّلال فأصبح ربع اللّغة به خصيبا بقدر ما صار به ربع النّحو والبلاغة منه جديبا (الأفغاني، 1987م، صفحة 55) ولذلك تقول خديجة الحديثي (الحديثي، 1981م، صفحة 5):"أما الحديث فقد كان احتجاجهم به قليلا جدّا إذا ماقيس بالآخرين، إنّنا نجد سيبويه يحتجّ بأحاديث معدودة في كتابه الضّخم...".

-مقصدية تأليف عبد القاهر الجرجانيّ لدلائل الإعجاز بأن كان ردّا على كبيري المعتزلة أبي بكر الباقلّانيّ (403هـ) والقاضي عبد الجبّار(415هـ) ذلك بعد أن حطّ الأوّل من منزلة الشّعر في كتابه إعجاز القرآن، ومعلومٌ أنّ المعتزلة أكثر تقديسا للعقل على النّقل ومنه الحديث النّبويّ الشّريف فلذلك قلّ النصّ النّبويّ عند الجرجاني(471هـ) في هذا الكتاب على غير الغرض من كتابة أسرار البلاغة الذي كان فيه عبد القاهر معانا في شرح بيان العرب ومنه البيان النّبويّ حتى يعرف فيه وجه الإعجاز في البيان القرآنيّ.

-ذهب بعض الدّارسين ومنهم زكي مبارك أنّ الأديب البلاغيّ الشّريف الرّضي (406هـ) الذي اشتغل على البحث في بلاغة القرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف وعمل على إظهار جماليتهما ومواطن الإعجاز فيهما من خلال كتابيه الشّهيرين: "تلخيص البيان عن مجازات القرآن" و"مجازات الآثار النّبويّة" أو "المجازات النّبويّة"، قد مهّد الطّريق بتلك الدّراسات البلاغيّة للقرآن والحديث لمن جاء بعده من علماء البلاغة النظريين ومنهم عبد القاهر الجرجاني، إذ يقول زكي مبارك (مبارك، 1942م، صفحة 267):"أنّ الشّريف الرّضيّ قد مهّد السّبيل لعبد القاهر الجرجاني، فعبد القاهر تلميذ الشّريف في الميادين البيانيّة، وليس كتاب "دلائل الإعجاز" إلّا خطوة ثانية بعد كتاب "المجازات النّبويّة" وإن كان الجرجانيّ أقدر من الرّضيّ على الإفاضة والاستقصاء". وبناء على ما تقدّم يبقى السّؤال التّالي مشروعا: ألم يطلّع عبد القاهر الجرجانيّ على كتابي الرّضي ومن ثمّ استبعد الإكثار من شواهد الحديث النّبويّ الشّريف حتّى لا يعيد تجارب غيره ويكرّر ما سبق إليه خاصّة وأنّ كتاب المجازات النّبويّة تناول ما يربو على ثلاثمائة وخمسين حديثا نبويّا شريفا (350) ؟

لقد نالت الشّواهد الشّرعيّة –خاصّة الحديث النّبويّ الشّريف–عناية فائقة من لدن علماء تعدّدت تخصّصاتهم ومشاربهم فاستخرجوا مافيه من عبر، وحكم، وعقائد، وتشريعات، وصرف، ونحو، وبلاغة، ومن المرجّح أنّ الجرجانيّ قد قلّت لديه الشّواهد الحديثية لأنّه كان يرمي إلى الإتيان بالجديد على كل الأصعدة منهجا، ومادّة، وشواهد وتحليلا، فكلّ ما تناوله من وجوه البيان والمعاني حاضر دون شكّ في الحديث النّبويّ الشّريف وأنّ عملية انتقاء الشّاهد البلاغيّ عند عبد القاهر الجرجانيّ ليست بالأمر الهيّن بل كانت عنده عملية دقيقة لا تقلّ في عسر مخاضها عن عملية الابتكار والإبداع. يقول صاحب الدلائل في كتابه متحدّثا عن الصّعوبة التي يتجشّمها في عمليّة انتخاب الشّاهد (الجرجاني، دلائل الإعجاز، 1413هـ، صفحة 89) :" ثم إنك تحتاج إلى أن تستقري عدة قصائد، بل أن تفلي ديوانا من الشعر، حتى تجمع منه عدة أبيات".

-تصوّر عبد القاهر الجرجانيّ لمفهوم التخييل والصّورة المبنية عليه جعله يستبعد الشّواهد الحديثية وخاصة في كتابه أسرار البلاغة لأنّ الحديث النبّويّ الشّريف لا يصحّ أن يكون فيه تخييل ومثّل فقط بالشواهد الشّعريّة في هذا القسم وقد لاحظ بعض الباحثين اضطراب مفهومه للتخيل وقد يصل إلى أن يجعله مرادفا للكذب والحديث النّبوي براء منه حسبه. (السعداني، 2021م، صفحة 44).

خاتمة:

وفي ختام هذا البحث خلصنا إلى مجموعة من النتائج أهمّها ما يلي:

- أنّ عبد القاهر الجرجاني في دلائل الإعجاز كبلاغيّ لم يخرج عن القاعدة المألوفة عند قدماء النّحاة في إقلالهم من شاهد الحديث النّبويّ وذلك بسبب تحرّجه من اللّحن فيه، وتغيير متنه فالإعجاز القرآنيّ مناطه البلاغة وهي مبنية على المعاني النّحويّة ولا تستقيم إلّا بالنّحو.
- اختلاف طريقة الجرجانيّ(471هـ) في تعامله مع الاستشهاد بالنصّ النّبوي بتركيزه على إيراد موضع الشّاهد بمعناه أو بلفظه دون ذكر متن الحديث كاملا دون تمحيص في درجة صحّة الحديث من عدمها، مما يبيّن قلّة زاده في علم الحديث، وإن استعمل بعض مصطلحاته كالحديث المرسل.
- طبيعة المواضيع المعالجة فرضت على الجرجانيّ التنويع في توظيف شاهد الحديث النّبوي الشّريف بشقّيه بالمعنى الحقيقي للدّفاع عن الشّعر إذ هو مناط معرفة إعجاز القرآن الكريم وبالمعنى المجازيّ محاولة لإبراز بعض اللّفتات البيانية في النصّ النّبويّ.
- مقصدية المؤلّف وغرضه من تأليف كتاب دلائل الإعجاز كان سببا مباشرا في استبعاد الكثير من النّصوص النّبوية بردّه على المعتزلة الذين كانوا أقلّ اعتدادا بالنّقل، وأكثر تقديسا للعقل.
- إمكانية اطّلاع الجرجانيّ على كتاب الشّريف الرّضي(406هـ) "المجازات النّبويّة" الذي أظهر فيه الأخير جمالية البيان النّبوي ما يربو على ثلاثمائة وخمسين حديثا (350) ما جعل صاحب الدّلائل يستبعد الإكثار من شواهد الحديث النّبويّ الشّريف حتّى لا يعيد تجارب غيره ويكرّر ما سبق إليه. إلّا ما رأى فيه مزيد إفاضة وبيان.
- تصوّر عبد القاهر الجرجانيّ(471هـ) لبعض المعاني البلاغية كالتخييل الذي جعله أحيانا مرادفا للكذب جعله ينأى ويستبعد توظيف الحديث النّبويّ الشّريف في هذا الباب لقداسته.

توصيات:

وهذه بعض التّوصيات المقترحة من خلال هذه الدراسة:

- ندعو الباحثين وواضعي المناهج إلى الإكثار من الاستشهاد بالحديث النبوي، لتحصل لدارس البلاغة العربية الإفادة منه بلاغياً.
- ضرورة العناية والبحث في تراث عبد القاهر الجرجاني، وتثوير أفكاره لأنّها تحمل العديد من الكنوز، والأسرار في اللّغة العربيّة بصفة عامّة، والبلاغة العربيّة بصفة خاصّة.
- النّهوض بالبلاغة العربية لن يتم دون النّهوض بالشّاهد البلاغيّ، وخاصّة الحديث النّبويّ الشّريف، وضرورة الاحتكاك مباشرة بالشّواهد.

المصادر والمراجع:

ابن فارس. (1997م). الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. دار محمد علي بيضون.

أبو الحسن نور الدين الهيثمي. (1414هـ). مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. القاهرة–مصر–: مكتبة القدسي.

أبو الحسين بن الحجاج مسلم. (1433هـ). الجامع الصحيح(صحيح مسلم). بيروت–لبنان–: دار طوق النّجاة.

أبو القاسم سليمان الطبراني. (1405هـ). المعجم الصّغير. بيروت–عمان–: المكتب الإسلامي،دار عمار عمان.

أبو القاسم سليمان الطبراني. (دس). المعجم الكبير. القاهرة–مصر–: مكتبة ابن تيمية.

أبو بكر أحمد البيهقي. (1432هـ). السّنن الكبير. القاهرة–مصر–: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.

أبو بكر عبد الله ابن أبي الدنيا. (دس). قضاء الحوائج. القاهرة–مصر–: مكتبة القاهرة.

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري. (دس). تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله من الأخبار. القاهرة–مصر–: مطبعة المدني.

أبو علي القالي. (1344هـ). الأمالي. القاهرة–مصر–: دار الكتب المصرية.

إسماعيل بن محمد العجلوني. (1420هـ). كشف الخفاء ومزيل الإلباس. مصر: المكتبة العصرية.

الشّريف الرضيّ. (2007م). المجازات النّبويّة. بيروت–لبنان–: دار الكتب العلمية.

جمال الدين الأنصاري ابن منظور. (1414هـ). لسان العرب. بيروت–لبنان–: دار صادر.

جمال الدّين بن هشام. (1375هـ). السيرة النبوية لابن هشام. القاهرة–مصر–: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

خديجة الحديثي. (1981م). موقف النّحاة من الاحتجاج بالحديث الشّريف. العراق: منشورات وزارة الثقافة والأعلام.

زكي مبارك. (1942م). عبقرية الشّريف الرّضي. بيروت–لبنان–: المكتبة العصرية.

سامية عبد الحميد عبد المجيد. (2001م). الأساليب البلاغية في الأحاديث النّبوية في كتاب أسرار البلاغة. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات .

سعيد الأفغاني. (1987م). في أصول النّحو. بيروت: المكتب الإسلامي.

عبد القادر بن عمر البغدادي. (1418هـ). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. القاهرة–مصر–: مكتبة الخانجي.

عبد القاهر الجرجاني. (1991م). أسرار البلاغة. جدة–السّعودية–: دار المدني.

عبد القاهر الجرجاني. (1413هـ). دلائل الإعجاز. القاهرة: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة.

فوزية الطاهر الشين. (2010م). توظيف الشواهد البلاغية في كتاب دلائل الإعجاز. رسالة ماجستير . طرابلس–ليبيا–: كلية الآداب،جامعة الفاتح.

مبارك السعداني. (2021م). الشواهد القرآنية عند عبد القاهر الجرجاني. مطبعة بلال فاس.

محمد الطنطاوي. (2005م). نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة. بيروت–لبنان–: مكتبة إحياء التراث الإسلامي.

محمد بن إسماعيل البخاري. (1419هـ). الأدب المفرد. الرياض–السّعودية–: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.

محمد بن إسماعيل البخاري. (1433هـ). صحيح البخاري. القاهرة–مصر–: دار التأصيل.

محمد بن علي التهانوي. (1996م). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. بيروت–لبنان–: مكتبة لبنان ناشرون.

مراد عياد. (2001م). مدونة الشواهد في التراث البلاغي العربي من الجاحظ إلى الجرجاني:أسسها_مقاييسها_مناهجها_وظائفها. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس–تونس–.

نجاح الظهار. (1996م). الشواهد الشعرية في كتاب دلائل الإعجاز.

References:

Ibn Faris. (1997). Al-Sahibi in Arabic Philology, Its Issues, and the Traditions of Arabs in Their Speech. Dar Muhammad Ali Baydun.

Abu al-Hasan Nur al-Din al-Haythami. (1414 AH). Majma' al-Zawa'id wa Manba' al-Fawa'id. Cairo, Egypt: Maktabat al-Qudsi.

Abu al-Husayn bin al-Hajjaj Muslim. (1433 AH). The Authentic Collection (Sahih Muslim). Beirut, Lebanon: Dar Tawq al-Najat.
Abu al-Qasim Sulayman al-Tabarani. (1405 AH). Al-Mu'jam al-Saghir. Beirut-Amman: Al-Maktab al-Islami, Dar Ammar Amman.
Abu al-Qasim Sulayman al-Tabarani. (n.d.). Al-Mu'jam al-Kabir. Cairo, Egypt: Maktabat Ibn Taymiyyah.
Abu Bakr Ahmad al-Bayhaqi. (1432 AH). Al-Sunan al-Kabir. Cairo, Egypt: Markaz Hajr for Arab and Islamic Research and Studies.
Abu Bakr Abdullah Ibn Abi al-Dunya. (n.d.). Qada' al-Hawa'ij. Cairo, Egypt: Maktabat al-Qahirah.
Abu Ja'far Muhammad bin Jarir al-Tabari. (n.d.). Tahdhib al-Athar wa Tafsil al-Thabit 'an Rasul Allah min al-Akhbar. Cairo, Egypt: Matba'at al-Madani.
Abu Ali al-Qali. (1344 AH). Al-Amali. Cairo, Egypt: Dar al-Kutub al-Misriyyah.
Isma'il bin Muhammad al-'Ajluni. (1420 AH). Kashf al-Khafa' wa Muzil al-Ilbas. Egypt: Al-Maktabah al-'Asriyyah.
Al-Sharif al-Radi. (2007). Al-Majazat al-Nabawiyyah (Prophetic Metaphors). Beirut, Lebanon: Dar al-Kutub al-'Ilmiyyah.
Jamal al-Din al-Ansari Ibn Manzur. (1414 AH). Lisan al-Arab. Beirut, Lebanon: Dar Sadir.
Jamal al-Din Ibn Hisham. (1375 AH). Al-Sirah al-Nabawiyyah li-Ibn Hisham. Cairo, Egypt: Mustafa al-Babi al-Halabi and Sons Company.
Khadija al-Hadithi. (1981). The Position of Grammarians on Using the Noble Hadith as Evidence. Iraq: Ministry of Culture and Information Publications.
Zaki Mubarak. (1942). The Genius of Al-Sharif al-Radi. Beirut, Lebanon: Al-Maktabah al-'Asriyyah.
Samiya Abd al-Hamid Abd al-Majid. (2001). Rhetorical Styles in Prophetic Hadiths in the Book "Asrar al-Balaghah". Journal of the College of Islamic and Arabic Studies for Women.
Sa'id al-Afghani. (1987). On the Principles of Grammar. Beirut: Al-Maktab al-Islami.
Abd al-Qadir bin Umar al-Baghdadi. (1418 AH). Khizanat al-Adab wa Lubb Lubab Lisan al-Arab. Cairo, Egypt: Maktabat al-Khanji.
Abd al-Qahir al-Jurjani. (1991). Asrar al-Balaghah (Secrets of Rhetoric). Jeddah, Saudi Arabia: Dar al-Madani.
Abd al-Qahir al-Jurjani. (1413 AH). Dala'il al-I'jaz (Proofs of Inimitability). Cairo: Matba'at al-Madani in Cairo - Dar al-Madani in Jeddah.
Fawziya al-Tahir al-Shin. (2010). The Employment of Rhetorical Evidence in the Book "Dala'il al-I'jaz". Master's Thesis. Tripoli, Libya: Faculty of Arts, Al-Fateh University.
Mubarak al-Sa'dani. (2021). Quranic Citations in the Works of Abd al-Qahir al-Jurjani. Bilal Fez Press.
Muhammad al-Tantawi. (2005). The Emergence of Grammar and History of Famous Grammarians. Beirut, Lebanon: Library of Islamic Heritage Revival.
Muhammad bin Isma'il al-Bukhari. (1419 AH). Al-Adab al-Mufrad. Riyadh, Saudi Arabia: Al-Ma'arif Publishing and Distribution Library.
Muhammad bin Isma'il al-Bukhari. (1433 AH). Sahih al-Bukhari. Cairo, Egypt: Dar al-Ta'sil.
Muhammad bin Ali al-Tahanawi. (1996). Encyclopedia of Technical Terms in Arts and Sciences. Beirut, Lebanon: Lebanon Publishers Library.
Murad Ayyad. (2001). The Corpus of Citations in Arabic Rhetorical Heritage from Al-Jahiz to Al-Jurjani: Its Foundations, Standards, Methods, and Functions. Faculty of Arts and Humanities in Sfax, Tunisia.
Najah al-Zahhar. (1996). Poetic Citations in the Book "Dala'il al-I'jaz".